تفسير سورة الناس

تأليف : شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب
تحقيق وتعليق : د. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي*

مقدمـــة :

الحمـد لله رب العالمـين والصلاة والسـلام على أشرف الأنبيـاء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين : أمـا بعـد . .

فإن الشرور التي تصيب الإنسان ـ اعاذنا الله وإيـاكم منها ـ إمـا أن تكون من الخارج وإما أن تكون من الداخل ولا ثالث لهما.

ولـذا فقد وردت النصـوص بالأمـر بالاستعـاذة بسورتي الفلق والنـاس. لاشتمالهما معا على الحرز من الشرور كلها داخلها وخارجها.

ففي سـورة الفلق استعاذة من ﴿ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ ومن ﴿ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ ومن ﴿ شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ ومن ﴿ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ . وهذه تشمل كل شر من خارج الانسان.

وفي سـورة الناس استعـاذة من شر الوسـوسة التي هي أصـل الشرور من داخل الانسان.

وبـالاستعـاذة بـالسـورتـين يحترز الانســان من الشرور كلهـا داخلهـا وخارجها. ولضرورة أن يعرف المسلم الكلام الذي يستعيذ به ويناجي بـه ربه

* وردت ترجمة للباحث في العدد «٢٧» صفحة ٢٥٧ من مجلة البحوث الإسلامية.

فقد بحثت عن تفسير لهما ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل حتى وقفت على مخطوطة لشيخ الإسلام الإمام/ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى. فسر بها السورتين، تبين لي أنها تلخيص من الشيخ لتفسير ابن القيم رحمه الله تعالى لهما فما زادني هذا إلا حرصاً عليها فحسبك بابن القيم علماً ومعرفة في موضوع هاتين السورتين خاصة وفي العلوم الشرعية عامة.
وحسبك بالشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى قدرة على التقاط درر الكلام وجواهره.

أما موضوع سورة (الناس) وهو (الوسواس) فقد يستهين به بعض الناس ويحسبونه أمراً هيناً وقد يقول أحدهم ليس الخوف من الوسواس والوسوسة وإنما الخوف من تخلي بعض الشباب عن التمسك والالتزام بالدين وغاب عن أذهان هؤلاء ـ ولم يجهلوا ـ أن أول معصية من البشر كانت عن طريق الوسوسة قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾(١) وقال سبحانه ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا ﴾(٢).

وقد رد ابن القيم رحمه الله تعالى على أولئك الذين يرون أن الوسواس خير من التفريط في الدين فقال « وأما قولكم: أن الوسواس خير مما عليه أهل التفريط والاسترسال وتمشية الامر كيف اتفق، إلى آخره».

فلعمر الله أنهما لطرفا افراط وتفريط، وغلو وتقصير، وزيادة ونقصان وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن الأمرين في غير موضع.. فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه. وخير الناس النمط الأوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين ولم يلحقوا بغلو المعتدين وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطا(٣).

---

(١) سورة طه: الآية: ١٢٠.
(٢) سورة الإعراف: الآية: ٢٠.
(٣) إغاثة اللهفان: ابن القيم جـ: ١ ص: ٢٠١.

وقد حرصت على التعليق على بعض المسائل وإلحاق بعض الفوائد المتعلقة بالموضوع خاصة من أقوال ابن القيم رحمه الله تعالى نفسه صاحب أصل التفسير سواء كان النقل من تفسيره أو من غيره، ونقلت عن بعض علماء المسلمين الآخرين.

التعريف بالتفسير :

قلت إن هذا التفسير مختصر لتفسير ابن القيم، وينبغي أن أؤكد هنا أن الشيخ لم يكن في تلخيصه آلة صماء، يبتر النص بتراً، ويرقع الجمل ترقيعاً، بل ظهرت شخصيته العلمية، وبرزت معالم فكره، وما يؤيده وما لا يؤيده.

وقد يكون القصد في بعض المواضع الاختصار فحسب، وقد يظهر للمتمعن أن القصد ليس الاختصار في مواضع أخرى، وذلك حين يحذف كلمة أو كلمتين بين جمل متصلة، في هذه الكلمة أو الكلمتين اعترك العلماء، وتعددت الاقوال، فإيرادها أخذ بقول وحذفها وحدها قد يكون رفضاً لهذا القول وبذا يظهر جانب من شخصية الشيخ العلمية.

هذا فضلاً عن زيادة في جملة، أو تغيير في عبارة، أو ربط بين جملة وأخرى.

وينبغي أن أوضح أيضاً أن الشيخ رحمه الله تعالى قد اختصر هذا المختصر وطبع عدة مرات[1].

---

(١) طبع في :
١ ـ الدرر السنية جـ : ١٠ ص : ٢٠٠ .
٢ ـ روضة الأفكار الطبعة الهندية جـ : ١ ص: ٣١١ ـ ٣١٢ المكتبة الأهلية جـ : ١ ص: ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .
٣ ـ تاريخ نجد: لابن غنام حرره وحققه ناصر الدين الأسد ص ٦٨١ ـ ٦٨٢ .
٤ ـ مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب جـ : ٤ ص: ٣٨٧ ـ ٣٨٩ .
(أنظر آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب: د. أحمد الضبيب ص: ١٤٧).

أصول الكتاب :

بحثت في مكتبات كثيرة عن نسخ مخطوطة لهذا التفسير، وبعد بحث وتنقيب لم اعثر إلا على نسخة واحدة، أما بقية النسخ الواردة في فهارس بعض المكتبات فهي للتفسير المختصر لسورة الناس، وليست لهذا التفسير، وقد طبع هذا المختصر عدة مرات كما أشرت آنفاً، أما هذا التفسير فلم أجده مطبوعاً من قبل.

ولأجل التحقق من صحة النسخة المخطوطة وسلامتها من التصحيف أو التحريف قمت بمقابلتها على النسخ المطبوعة لتفسير سورة الناس لابن القيم رحمه الله تعالى ضمن (تفسير المعوذتين).

أما النسخة المخطوطة لهذا التفسير فقد صورتها من مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وهي برقم (٢٣٢٠) وهي مصورة عن المتحف العراقي كما كتب بخط اليد وتقع في خمس صفحات، في كل صفحة نحو ثلاثة وثلاثين سطراً، كما أنه يوجد نسخة لتفسير سورة الإخلاص ومعها تفسير المعوذتين في مكتبة الآثار العامة ـ ببغداد رقم (٣٥١٧٩)، ونسخة أخرى في خزائن مكتبة الأوقاف ببغداد برقم (٣٢٧٩) بعنوان (تفسير سورة الإخلاص، والفلق، والناس).

وقد طلبت تصويرهما عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وقد بادر المركز بإرسال طلب التصوير قبل سنتين ولم يتيسر ذلك، حتى الساعة، علماً أني لا أعرف أي التفسيرين فيهما التفسير المختصر أو التفسير المطول للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يغفر لي ما شابه من نقص أو قصور، إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . .

فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص او عيب فهذا حسد على شيء معدوم والاول حسد على شيء محقق وكلاهما حاسد عدو نعمة الله وعدو
عباده ممقوت عند الله وعند [illegible] له مثل حال المحسود من غير تمني زوال النعمة عنه فهذا
لا باس به ولا يعاب صاحبه بل هذا قريب من المنافسة كما قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله مالا وسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس فهذا حسد غبطة
الحامل لصاحبه عليه حب خصال الخير والتشبه باهلها والدخول في جملتهم فيحدث له المنافسة والمسابقة مع محبته لمن يغبطه وتمني
دوام نعمة الله عليه فهذا لا يدخل في الآية بوجه ما وهذه السورة من اكبر ادوية الحسد فانها تتضمن التوكل على الله والالتجاء اليه والا
ستعاذة به من شر حاسد النعمة والله تعالى اعلم واما سورة الناس فقد تضمنت ايضا مستعاذا به ومستعاذا منه و
مستعيذ فاما المستعاذ به فهو الله رب الناس ملك الناس اله الناس فذكر ربوبيته للناس وملكه اياهم والهيته لهم وسر مناسبة
في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان فاضافهم في الكلمة الاولى الى ربوبيته المتضمنة لخلقهم وتربيتهم وتدبيرهم واصلاحهم
وحفظهم لمن يفسدهم هذا معنى ربوبيته لهم وذلك يتضمن قدرته التامة ورحمته الواسعة وعلمه بتفاصيل احوالهم واجابة
دعواتهم وكشف كرباتهم واضافهم في الكلمة الثانية الى ملكه فهو ملكهم الحق الذي اليه مفزعهم في الشدائد والنوائب ولا صلاح لهم
ولا قيام الا به واضافهم في الكلمة الثالثة الى الهيته فهو الههم الحق ومعبودهم الذي لا اله سواه ولا معبود لهم غيره فكما انه وحده
هو ربهم ومليكهم لم يشاركه في ربوبيته ولا في ملكه احد فكذلك هو وحده الههم ومعبودهم فلا ينبغي ان يجعلوا معه
شريكا في الهيته كما لا معه شريك في ربوبيته وملكه وهذه طريقة القرآن يحتج عليهم باقرارهم بهذا التوحيد على ما انكروه من توحيد الالهية
والعبادة فاذا كان وحده هو ربنا ومليكنا فلا مفزع لنا في الشدائد سواه ولا ملجأ لنا منه الا اليه ولا معبود لنا غيره فلا ينبغي ان يدعى ولا يخاف
ولا يرجى ولا يحب سواه ولا يذل لغيره ولا يخضع لسواه ولا يتوكل الا عليه لان من ترجوه وتخافه وتدعوه اما ان يكون مربيك
والقيم باموركه فهو ربك فلا رب لك سواه او تكون مملوكه وعبده الحق فهو ملك الناس حقا وكلهم عبيده ومماليكه او يكون معبودك
والهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين بل حاجتك اليه اعظم من حاجتك الى روحك وحياتك وهو الاله الحق اله الناس الذي لا اله لهم سواه
فهم جديرون ان لا يستعيذوا بغيره ولا يستنصروا بسواه فظهرت مناسبة هذه الاضافات الثلاث للاستعاذة من اعدى العدو
واعظمهم عداوة ثم انه سبحانه كرر الاسم الظاهر ولم يوقع المضمر موقعه فيقول رب الناس وملكهم والههم تحقيقا لهذا المعنى فاعاد ذكرهم
عند كل اسم من اسمائه ولم يعطف بالواو لما فيها من الايذان بالمغايرة وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب واخر الالهية
لخصوصها لانه سبحانه انما هو اله من عبده ووحده واتخذه الها دون غيره فمن لم يعبده ويوحده فليس باله وان كان في الحقيقة
لا اله له سواه ولكن ترك الهه الحق واتخذ الها غيره ووسط صفة الملك بين الربوبية والالهية لان الملك هو المتصرف بقوله وامره
المطاع اذا امر فملكه لهم تابع لخلقه اياهم فملكهم من كمال ربوبيته وكونه الههم الحق من كمال ملكه فربوبيته تستلزم ملكه وملكه
يستلزم الهيته فهو الرب الملك الاله خلقهم بربوبيته وقهرهم بملكه واستعبدهم بالهيته فتامل هذه الجلالة وهذه العظمة التي
تضمنتها هذه الالفاظ الثلاثة على ابدع نظام واحسن سياق رب الناس ملك الناس اله الناس وقد اشتملت هذه الاضافات الثلاث
على جميع قواعد الايمان وتضمنت معاني اسمائه الحسنى اما تضمنها لمعاني اسمائه الحسنى فان الرب هو القادر الخالق البارئ المصور
الحي القيوم العليم السميع البصير المحسن المنعم الجواد المعطي المانع الضار النافع المقدم المؤخر الذي يضل ويهدي ويسعد ويشقي ويعز ويذل الى
غير ذلك من معاني الربوبية واما الملك فهو الامر الناهي المعز المذل الذي يصرف امور عباده كما يحب ويقلبهم كما يشاء وهو العزيز
الجبار المتكبر الحافظ الرافع المعز المذل العظيم الجليل الوالي المتعالي الملك المقسط الجامع الى غير ذلك من الاسماء العائدة الى الملك
واما الاله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل في هذا الاسم جميع الاسماء الحسنى ولهذا كان القول الصحيح ان الله اصله الاله
وان اسم الله هو الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنى والصفات العليا واسرار كلام الله اجل واعظم من ان تدركها عقول البشر وانما غاية
اولي العلم الاستدلال بما يظهر منها على ما وراءه وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي

الصفحة الأولى لمخطوطة المتحف العراقي

بسم الله الرحمن الرحيم

وأما سورة الناس[١].

فقد تضمنت أيضاً[٢] :

مستعاذاً بـه.

ومستعاذاً منه.

ومستعيذاً[٣].

فـأما المستعـاذ به فهـو : الله ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ فذكـر ربوبيتـه للناس، وملكـه إيـاهم، وإلـهيته لهم[٤] ولابـد من مناسبة في ذكر في الإستعاذة من الشيطان[٥].

فـأضـافهم[٦] في الكلمـة الأولى[٧] إلى ربـوبيتـه، المتضمنـة خلقهم،

(١) هذه السورة من المعوذات. وقد ورد في فضلهن أحاديث منها: (حديث عائشة) رضي الله عنها « أن رسـول الله ﷺ وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وأمسح بيده رجـاء بركتها رواه البخاري جـ: ٦ ص: ١٠٥ - ١٠٦.

(وتأمل) أن الإستعـاذة هنا لابـد من سبقها بـ (قـل) فإن قلت المنـاسب أن يتعوذ المتعـوذ بـ (اعوذ بـرب الفلق) و(اعوذ برب الناس) من غير لفظ قل (قلت) أن المقصود أن يجمع المتعوذ بين القرآن والاستعاذة فإذا حذف لفظ قل، فإنما هي استعاذة وبالإتيان بها تكون قرآنا واستعاذة.

(٢) أي كما تضمنت ذلك سورة الفلق التي سبق للشيخ أن فسرها.

(٣) في المخطوطة (مستعاذ به، ومستعاذ منه، ومستعيذ) وهو لحن فصححته.

(٤) قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله تعالى - في تفسيره للفاتحة: « فذكر في أول هذه السورة التي هي أول المصحف (الألوهية) و(الربوبيـة) و(الملك) كما ذكـر في آخر سـورة في المصحف (قل أعـوذ برب النـاس، ملك الناس، اله الناس)، فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القـرآن، ثم ذكرها مجموعة في موضع واحد في آخر ما يطرق سمعك من القرآن فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتنى بهذا الموضع ويبذل جهده في البحث عنه ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في أول القـرآن ثم في آخر القـرآن إلا لما يعلم من شـدة حاجـة العباد إلى معـرفتها ومعـرفة الفـرق بين هـذه الصفات فكـل صفة لهـا معنى غـير معنى الصفـة الأخرى» تفسير سورة الفاتحة ص: ٤٣ - ٤٤.

(٥) كما قرر المؤلف رحمه الله تعالى في الدعاء أن الله سبحانه (يسأل لكل مطلوب باسم يناسبه) تفسـير سورة الفلق. ص: ١٩، أي بنحو يا رزاق ارزقني يا هادي اهـدني. كما قـرر ذلك قـرر هنا أن الإستعـاذة أيضاً لا بـد من المناسبة فيها بين الاسم المستعاذ به وبين المستعاذ منه.

(٦) هذا بيان للمناسبة بين الاسم المستعاذ به والأمر المستعاذ منه المطلوب دفعه وهو الوسواس الخناس كما سيأتي.

(٧) أي قوله سبحانه (رب الناس).

وتربيتهم، وتدبيرهم، وإصلاحهم، وحفظهم مما[1] يفسدهم، وهذا معنى ربوبيته لهم، وذلك يتضمن[2] قدرته التامة، ورحمته الواسعة، وعلمه بتفاصيل أحوالهم، وإجابة[3] دعواتهم، وكشف كرباتهم[4].

وأضافهم في الكلمة الثانية[5] إلى ملكه، فهو ملكهم الحق الذي إليه مفزعهم في الشدائد والنوائب، فلا صلاح لهم، ولا قيام إلا به.

وأضافهم في الكلمة الثالثة[6] إلى إلـٰهيته[7] فهو إلـٰههم الحق، ومعبودهم الذي لا إلـٰه لهم[8] سواه، ولا معبود لهم غيره، فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم لم يشاركه في ربوبيته ولا في ملكه أحد، فكذلك[9] هو وحده إلـٰههم ومعبودهم فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكاً في إلـٰهيته، كما لا شريك معه[10] في ربوبيته وملكه.

وهذه طريقة القرآن يحتج[11] عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة.

---

(١) في المخطوطة لمن والصواب كما جاء في تفسير ابن القيم رحمه الله تعالى (مما).

(٢) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية: لابن قاسم جـ: ٣ ص: ١١٢.

(٣) في المخطوطة (وباجابة) والصواب ما أثبته من تفسير ابن القيم.

(٤) ووجه تضمن الربوبية لذلك أن الربوبية هي الخلق والرزق والهداية والتربية والتدبير والإصلاح وغير ذلك يقتضي كل منها امراً فالخلق يقتضي القدرة والتربية والتدبير يقتضيان الرحمه والعلم بالأحوال وإجابة الدعوة وكشف الكربة وهكذا وبذا تتحق الربوبية.

(٥) أي قوله سبحانه (ملك الناس).

(٦) أي قوله سبحانه «إله الناس».

(٧) قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير الفاتحة ص: ٤٢ «الإله أي: المعبود لقوله تعالى ﴿ **وهو الله في السموات وفي الأرض** ﴾ (الأنعام: ٣). أي المعبود في السموات والمعبود في الأرض» أهـ. وتوحيد الألوهية هو أفراد الله تعالى بالعبادة ويسمى هذا النوع من التوحيد (توحيد العبادة) وهو توحيد الله بفعل العبد وتوحيد الربوبية توحيد الله بفعله.

(٨) في المخطوطة (لا إلـٰه سواه: وأثبت ما في تفسير ابن القيم لقوله بعد (ولا معبود لهم غيره).

(٩) إشارة إلى أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

(١٠) في المخطوطة (كما لا معه شريك) وأثبت ما في تفسير ابن القيم.

(١١) لم يظهر لي احتجاج في قوله تعالى ﴿ **قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس** ﴾ وانما الاحتجاج ورد في قول المفسر آنفاً (فكما أنه وحده هو ربهم.. فكذلك وهو وحده إلـٰههم ومعبودهم). إلا أن كان يقصد الوجه الذي ذكره في ترتيب الصفات الثلاث الربوبية، الملك، الألوهية، واستلزام الربوبية للملك وإستلزام الملك

فإذا كان هو ربنا ومليكنا فلا مفزع لنا في الشدائد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه، ولا معبود لنا غيره، فلا ينبغي أن يُدعى ولا يُخاف، ولا يُرجى ولا يُحب سواه، ولا يُذلّ لغيره، ولا يُخضع لسواه، ولا يُتوكل إلا عليه[1]، لأن من ترجوه وتخافه وتدعوه أما أن يكون مربيك والقَيِّم بأمورك فهو ربك فلا رب لك سواه أو تكون مملوكه وعبده الحق، فهو ملك الناس حقاً وكلهم عبيده ومماليكه، أو يكون معبودك وإلـهك الذي لا تستغنى عنه طرفة عين، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى روحك وحياتك وهو الإله الحق إله الناس الذي لا إله لهم سواه، فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه، فظهرت مناسبة هذه الإضافات الثلاث للاستعاذة من أعدى الأعداء[2] وأعظمهم عداوة.

ثم أن الله سبحانه كرر الاسم الظاهر[3]، ولم يوقع المضمر موقعه[4]، فيقول: رب الناس، وملكهم، وإلههم، تحقيقاً لهذا المعنى[5]، فأعاد ذكرهم عند كل اسم من أسمائه[6]

للألوهية. كما سيأتي بيانه.

والطريقة التي يشير إليها هي قياس التمثيل وهي أحد أساليب الإستدلال في القرآن وذلك بأن يقيس الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه أو يقر به نحو قوله تعالى ﴿ **وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحى العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾ (يس: ٧٨ - ٧٩). أنظر مناهج الجدل في القرآن، د. زاهر الألمعي ص: ٧٢.

(١) هذه الأمور التي ذكرها من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

(٢) في المخطوطة (أعداء العدو) وهو خطأ فأثبت ما في تفسير ابن القيم.

(٣) أي (الناس) في قوله تعالى ﴿ **رب الناس، ملك الناس، إله الناس** ﴾.

(٤) في المخطوطة (وقعه) وهو خطأ فصححته فأثبت ما في تفسير ابن القيم.

(٥) أي المناسبة التي بيَّنها للإضافات الثلاث.

(٦) الإظهار في موضع الإضمار هنا في قوله تعالى (ملك الناس، إله الناس) ولم يقل ملكهم، وإلههم، وقيل في تعليل ذلك أن قوله تعالى (رب الناس) قد يقال لغيره تعالى رب، كما جاء في قوله سبحانه ﴿ **اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** ﴾ (التوبة: ٣١).

وقول يوسف عليه السلام لصاحبه في السجن (اذكرني عند ربك) (يوسف: ٤٢) وقوله (ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة) الآية. (يوسف: ٥٠) فلما كان هذا الوصف محتملاً لغيره بينه بقوله (ملك الناس)، ولما كان الملك قد يكون إلـهاً وقد لا يكون بينه بقوله (إله الناس) فالإله خاص به سبحانه فجعله غاية للبيان وعلى هذا

ولم يعطف بالواو لما فيها من الإيذان بالمغايرة(١).

قدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب، وأخر الإلـهية لخصوصها لأنه سبحانه إنما هو إلـه مَن عبده، ووحده، واتخذه إلـهاً دون غيره، فمن لم يعبده ويوحده فليس بإلـهه(٢) وإن كان في الحقيقة لا إلـه لـه سواه ولكن المشرك ترك(٣) إلـهه الحق واتخذ إلـهاً غيره(٤).

ووسط صفة الملك بين الربوبية والإلهية لأن الملك هو المتصرف بقوله وأمره، المطاع إذا أمر، فملكه(٥) لهم تابع لخلقه إياهم، فملكهم(٦) من كمال ربوبيته، وكونه إلـههم الحق من كمال ملكه، فربوبيته تستلزم ملكه، وملكه يستلزم إلـهيته، فهو الرب، الملك، الإلـه. خلقهم بالربوبية وقهرهم بالملك واستعبدهم بالإلـهية(٧).

فتأمل هذه الجلالة وهذه العظمة التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على

فقوله (ملك الناس، إلـه الناس) عطف بيان وعطف البيان للبيان فكان مظنة للإظهار دون الاضمار، انظر: الكشاف للزمخشري جـ: ٢٤٥، والبحر المحيط لابي حيان جـ: ٨ ص: ٥٣١، ٥٣٢). (قلت): ويظهر لي والله أعلم أن المستعاذ به هو (رب الناس) وأن (ملك الناس إلـه الناس) صفتان لرب الناس. كما قال أبو حيان: (والظاهر أن ملك الناس إلـه الناس صفتان) البحر المحيط جـ: ٨ ص: ٥٣١ وقال ابن هشام «ومن الوهم قول الزمخشري في (ملك الناس إلـه الناس) أنهما عطفا بيان والصواب أنهما نعتان» مغني اللبيب: جـ ٢ ص: ٥٧٠.

(١) بل قال القزويني «أن العطف يقتضي المغايره بين المعطوف والمعطوف عليه الإيضاح: ص: ١٥٣ وقال الزركشي في البرهان جـ: ٤ ص: ١١٣ » الأصل في العطف التغاير، وقد يعطف الشيء على نفسه في مقام التأكيد.

(٢) الأولى أن يقول: (فمن لم يعبده ويوحده فلم يتخذه إلـهاً) لأنه سبحانه إلـه الناس من عبده ومن لم يعبده لكن من لم يعبده لم يتخذه إلـهاً وإن كان سبحانه إلـهه لا إلـه له سواه.. كما يقول المؤلف بعد ذلك.

(٣) في المخطوطة (ولكن ترك) وزدت كلمة (المشرك) من تفسير ابن القيم.

(٤) كما قال تعالى عن قوم هود عليه السلام (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا) (هود: ٥٣).

(٥) في تفسير ابن القيم (وملكه).

(٦) في تفسير ابن القيم (فملكه).

(٧) وذكر أبو السعود ـ رحمه الله تعالى ـ وجهاً بديعاً للاستعاذة في هذه السورة فقال: « فإن توسل العائذ بربه وانتسابه إليه تعال بالربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس (بقصد الناس) هو فرد من أفراده من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لا محاله. إرشاد العقل السليم: أبي السعود جـ: ٩ ص: ٢١٦.

أبدع نظام وأحسن سياق[١] (رب الناس، ملك الناس، اله الناس).

وقد اشتلمت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان[٢] وتضمنت معنى جميع أسمائه الحسنى[٣].

أما تضمنها لمعاني أسمائه الحسنى.

فإن الرب هو: القادر، الخالق، البارىء، المصور، الحي، القيوم، العليم، السميع، البصير، المحسن[٤]، المنعم، الجواد، المعطي، المانع[٥]، النافع، الضار، المقدم، المؤخر، يهدي ويضل، ويسعد، ويشقى، ويعز ويذل، إلى غير ذلك من المعاني الربوبية.

وأما الملك: فهو الآمر، الناهي، المعز، المذل الذي يصرف أمور عباده كما يحب، ويقلبهم كما يشاء، فهو العزيز[٦]، الجبار، المتكبر الحافظ[٧]، الرافع، المعز، المذل، العظيم، الجليل، الوالي، المتعالي الملك، المقسط، الجامع، إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك.

وأما الإله: فهو الجامع لصفات الكمال، ونعوت الجلال، فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى[٨].

---

(١) ذكر الايجي ـ رحمه الله تعالى ـ وجهاً آخر لهذا الترتيب والنظام فقال «هو من قبيل الترقي في صفات الكمال. فإن الملك أعلى من الرب. لأن كل ملك رب ومالك ولا ينعكس كلياً، ثم الإله الذي هو أعلى وخاص لله جعله غاية للبيان». جامع البيان في تفسير القرآن للايجي جـ: ٢ ص: ٤٤٥.

(٢) لإشتمالها على (الربوبية) و(الملك) و(الألوهية).

(٣) سيبين بعد ذلك وجه تضمن هذه الأسماء (الرب، الملك، الإله) للأسماء الحسنى.

(٤) «المحسن» أختلف العلماء في عده من أسماء الله تعالى فقد اتفقوا على أنه لم يرد في الكتاب، أما في السنة فقد رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي رجاله ثقات، وقد تردد الشيخ محمد ابن عثيمين في عده من الأسماء وعلل ذلك بقوله «لأننا لم نطلع على رواته في الطبراني وقد ذكره شيخ الإسلام من الاسماء» ص: ١٦ القواعد المثلى.

(٥) اسم «المانع» سقط من المخطوطة وأثبته من تفسير ابن القيم لأن المؤلف ذكر ما يقابله وهو «المعطي».

(٦) عند ابن القيم «وله من معنى الملك ما يستحقه من الأسماء الحسنى كالعزيز» ألخ ويظهر أن الشيخ رحمه الله اختصر عبارة ابن القيم رحمه الله بحذف هذه الجملة فأدى إلى تكرار في اسمي «المعز، المذل».

(٧) في المخطوطة (الحافظ) وفي تفسير ابن القيم «الخافض» وهو الصحيح لأنه ذكر بعده «الرافع» ولعل ما في المخطوطة تصحيف.

(٨) بين ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين جـ: ١ ص: ٣٢ ـ ٣٣ وجه دلالة اسم «الله» على جميع =

ولهذا[1] كان القول الصحيح أن الله: أصله الإله وأن اسم الله تعالى هو: الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العليا وأسرار كلام الله أجل وأعظم من أن تدركها عقول البشر، وإنما غاية أولى العلم الاستدلال بما يظهر منها على ما وراءه[2].

وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة من الشر[3] الذي هو سبب الذنوب والمعاصي وهو الشر الداخل في الإنسان الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة.

فسورة الفلق تضمنت الإستعاذة من ظلم الغير بالسحر والحسد وهو شر من خارج[4].

وسورة الناس تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من داخل.

فالشر الأول لا يدخل تحت التكليف، ولا يطلب منه الكف عنه، لأنه ليس من كسبه.

والشر الثاني الذي في سورة الناس يدخل تحت التكليف ويتعلق به النهي، فهذا شر المعائب، والأول شر المصائب، والشر كله يرجع إلى العيوب والمصائب ولا ثالث لهما.

فتضمنت سورة الناس الاستعاذة من شر العيوب كلها لأن أصلها كلها

= الأسماء الحسنى وتضمنه لصفات الكمال فقال «فاسم «الله» دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا» ثم قال: «وصفات الإلهية: هي صفات الكمال، المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم كقوله تعالى (ولله الأسماء الحسنى) (الاعراف: ١٨٠) ويقال ﴿ الرحمن، والرحيم، والقدوس، والسلام، والعزيز والحكيم ﴾، من أسماء الله، ولا يقال «الله» من أسماء «الرحمن» ولا من أسماء «العزيز» ونحو ذلك.

(١) أي لكون الإله جامعاً لصفات الكمال ولكونه أصلاً لاسم الله فإن اسم الله جامع لمعاني الاسماء الحسنى.

(٢) أي الاستدلال بالمعاني الظاهرة على ما وراءها من الاستنباطات والنتائج واللوازم.

(٣) يعني الوسواس.

(٤) في المخطوطة (وهو شر خارج) والصواب ما أثبته من تفسير ابن القيم.

الوسوسة(١).

وأصل الوسوسة(٢) الحركة(٣) أو الصوت الخفي الذي لا يحس(٤) فيحترز منه فالوسواس(٥) الإلقاء الخفي في النفس:

إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من القى اليه.

وإما بغير صوت ما يوسوس الشيطان إلى العبد.

و(الوسواس الخناس). وصفان لموصوف محذوف(٦). وهو الشيطان.

فالوسواس: الشيطان، لأنه كثير الوسوسه.

وأما (الخناس) فهو فعال من خنس يخنس. إذا توارى واختفى(٧) فإن العبد إذا غفل عن ذكر الله جثم علي قلبه الشيطان(٨) وبذر فيه الوساوس التي هي أصل الذنوب كلها. فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به انخنس(٩).

---

(١) وتضمنت سورة الفلق الإستعاذة من شر المصائب كلها لأنها لا تخرج عن الأمور الأربعة المستعاذ منها في السورة.

(٢) كلمة (وسوس) كلمة من حرفين مكررين، نحو (زلزل) و(دكدك) و(قلقل) وغير ذلك كثير وإنما تطلق هذه الكلمات على ما يتكرر وقوعه. وهو مطابق للقاعدة اللغوية في الحذو بالألفاظ حذو المعاني فيتكرر في اللفظ ما يتكرر مسماه وعلى هذا فالوسوسة صوت خفي متكرر. أنظر تفسير المعوذتين لابن القيم ص ٩٨.

(٣) لم أجد أحداً عرف الوسوسة بالحركة، وإنما عرفوها بحديث النفس، ويهمس الصائد والكلاب، وصوت الحلي، والصوت الخفي من ريح، والكلام الخفي باختلاط، أنظر لسان العرب مادة وسس) جـ: ٦ ص: ٢٥٤ - ٢٥٥ والصحاح للجوهري مادة (وسوس) جـ: ٣ ص: ٩٨٨ والقاموس المحيط مادة (الوس) ص: ٧٤٨ وتاج العروس مادة (الوس) جـ: ٤ ص: ٣٦٨.

(٤) لم أجد أحداً من علماء اللغة وصفه بأنه لا يحس ولم يظهر لي وصف الصوت بأنه لا يحس فإذا كان لا يحس فكيف يكون صوتاً، ولعله يريد صوتاً لا يحسه غير الملقي إليه. كما سيأتي بعد.

(٥) الوسوسة في الإصطلاح هي دعوة الشيطان لطاعته بكلام خفي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت (انظر تفسير القرطبي جـ: ٢٠ ص: ٢٦٣).

(٦) قال ابن هشام في شرحه لألفية بن مالك جـ: ٢ ص: ٣١٨ (ويجوز بكثرة حذف المنعوت إن علم وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية «وحَسَّنَ حذف الموصوف ههنا غلبة الوصف حتى صار كالعلم عليه» تفسير المعوذتين: ابن القيم ص ١٠٣).

(٧) قال ابن منظور: (خنس الرجل إذا توارى وغاب) لسان العرب مادة خنس جـ: ٦ ص: ٧١.

(٨) قال الله تعالى ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾ (الزخرف: ٣٦).

(٩) قال تعالى ﴿ **وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً** ﴾ (الإسراء: ٤٦). وقال سبحانه ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ (الأعراف: ٢٠١).

والانخناس: تأخر ورجوع[1] معه اختفاء، قال قتادة: الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب[2] في صدر الانسان فإذا ذكر العبد ربه خنس[3].

ويقال: رأسه كرأس الحية، وهو واضع رأسه على ثمرة[4] القلب يمنيه ويحدثه، فإذا ذكر الله خنس، وإذا لم يذكره عاد ووضع رأسه يوسوس إليه[5].

وجيء بلفظ (الفعال) دون (الفاعل)[6] إعلاماً بشدة[7] هروبه ورجوعه وعظم نفوره عند ذكر الله وأن ذلك دأبه. فذكر الله يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه، ولهذا كان شيطان المؤمن هزيلاً[8] لأنه يعذبه بذكر الله وطاعته وفي أثر عن بعض السلف[9]، أن المؤمن ينضي[10] شيطانه كما ينضي الرجل بعيره في السفر، لأنه كلما اعترضه صب عليه سياط الذكر والتوجه والاستغفار والطاعة، فشيطانه معه في عذاب شديد.

وأما شيطان الفاجر فهو معه في راحة ودعة، ولهذا يكون قوياً عاتياً شديد فمن لم يعذب شيطانه في هذه الدار بذكر الله وتوحيده واستغفاره وطاعته عذبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار، فلابد لكل أحد أن يعذب شيطانه أو يعذبه شيطانه.

---

(١) ولا رجوع ولا اختفاء إلا بعد تقدم وظهور فالانخناس اختفاء بعد ظهور فهو يجمع أمرين الإختفاء والرجوع.

(٢) الخرطوم وهو الأنف. أنظر لسان العرب لابن منظور جـ: ١٢ ص ١٧٣.

(٣) رواه القرطبي بلفظ (وقال قتاده: «الخناس» الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الانسان، فإذا غفل الانسان وسوس له، وإذا ذكر العبد ربه خنس) أهـ. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي جـ: ٢٠ ص: ٢٦٢.

(٤) تطلق الثمرة ويراد بها طرف الشيء ومنه حديث ابن عباس أنه أخذ بثمرة لسانه أي بطرفه.

(٥) أخرج البخاري في صحيحه جـ: ٦ ص: ٩٦، عن ابن عباس أنه قال «الوسواس إذا ولد خنسه الشيطان فإذا ذُكِرَ الله عز وجل ذهب وإذا لم يُذكر الله ثبت على قلبه».

(٦) أي بلفظ (الخناس) دون الخانس..

(٧) لو قال (إعلاماً بتكرار هروبه ورجوعه كلما ذكر الله ودأبه على ذلك) لكان أظهر كما سيأتي بيانه.

(٨) قال ابن مسعود رضي الله عنه (شيطان المؤمن مهزول) انظر إحياء علوم الدين: الغزالي جـ: ٣ ص: ٣١.

(٩) بل رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «أن المؤمن لينضي شياطينه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر» رواه الإمام أحمد في مسنده: جـ: ١٧ ص: ٧٥ بتحقيق أحمد شاكر وقال «إسناده صحيح».

(١٠) ينضي شيطانه يعني يهز له والنضو الدابة التي اهزلتها الأسفار (النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير جـ: ٥ ص: ٧٢).

وتأمل كيف جاء بناء الوسواس[١] مكرراً لتكريره[٢] الوسوسه الواحدة مراراً حتى يعزم عليها العبد.

وجاء بناء الخناس على وزن (الفَعَّال) الذي يتكرر منه نـوع الفعل، لأنـه كلما ذكر الله انخنس فإذا غفل العبد عاوده[٣] بالوسوسـه، فجاء بنـاء اللفظين مطابقاً لمعنييهما.

وقوله (الـذي يوسـوس في صدور النـاس) صفة ثـالثة للشيـطان، فذكـر وسوسته أولاً، ثم ذكر محلها ثانياً، وأنها في صدور الناس[٤].

وقد جعل الله للشيطان دخولاً في جوف العبد ونفوذاً إلى قلبه وصدره فهو يجـري منه مجـرى الدم[٥]، وقـد وكل بـالعبد فـلا يفـارقـه إلى الممات[٦] ومن وسوسته:

أنـه يشغل القلب بحـديثه حتى ينسيـه ما يـريد أن يفعله، ولهـذا يضاف

---

(١) أي مكرراً من الواو والسين وأنظر ما جاء هامش ص ٢٨.

(٢) في المخطوطة (لتكره) وصححته من تفسير المعوذتين لابن القيم.

(٣) في المخطوطة (عاد) وأثبت ما في تفسير المعوذتين لابن القيم.

(٤) ذكر المصنف قبل أن «الـوسواس والخنـاس وصفان لمـوصوف محـذوف» ثم قال هنـا عن هذه الآيـة «صفة ثـالثة للشيطان» فتكون الصفات هي (الوسواس) (الخناس) (الذي يوسوس في صدور الناس)، ويظهر أن قولـه (ثم ذكر محلها ثانياً) غير صحيح لأن الصفة الثانيـة هي (الخناس) وليس فيهـما ذكر للمحـل وإنما هـو وصف للصفة الثالثة وهي (في صدور الناس).
ولعله لهذا السبب لم يذكـر في المخطوطـة كلمة (ثـالثاً) التي وردت في تفسـير ابن القيم هكذا: (وأنها في صـدور الناس ثالثاً) ص ١٠٦ ويظهر لي أن العبارة غير صحيحة في المخطوطة وفي تفسير ابن القيم المطبوع والله أعلم.

(٥) وفي الصحيـح «أن الشيطان يجـري من ابن آدم مجرى الـدم» رواه البخاري جـ: ٨ ص: ١١٤، ورواه مسلم جـ: ٤ ص: ١٧١٢.

(٦) عقد الإمام الغزالي في كتابه «الإحياء» بابا في بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا؟ جـ: ٣ ص: ٤٣، وذكر فيه خمسة أقوال للعلماء ثم قال «وبالجملة فـالخلاص من الشيـطان في لحظة أو سـاعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمراً طويلاً بعيد جداً ومحال في الوجود فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة. قال حكيم من الحكماء: الشيطان يأتي ابن آدم من قبـل المعاصي فـإن إمتنع أتـاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة، فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام، فإن أبى شككـه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم، فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يـراه الناس صـابراً عفيفـاً فتميل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه، وعند ذلك يشتد إلحاحه فإنها آخر درجة ويعلم أنـه لو جـاوزها أفلت منـه إلى الجنة» اهـ. إحياء علوم الدين: للغزالي جـ: ٣ ص: ٤٥ باختصار.

النسيان اليه[1] كما قال تعالى عن صاحب موسى (فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ)[2].

وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه (الوسواس إلى آخر السورة) ولم يقل من شر وسوسته لتعم الاستعاذة جميع شره، فإن قوله (من شر الوسواس)[3] يعم كل شره[4]، ووصفه بأعظم صفاته وأشدها شراً وهي الوسوسه التي هي مبادىء الإرادة[5] فإن القلب يكون فارغاً من الشر فيوسوس إليه، ويخطر الذنب بباله، فيصوره لنفسه ويشهيه فيصير شهوة، ويزينها ويحسنها له، فتصير إرادة، ثم لا يزال يمثل[6] ويشهي وينسى ضررها ويطوى عنه سوء عاقبتها فلا يرى إلا التذاذه بالمعصية فقط وينسى ما وراء ذلك، فتصير الإرادة عزيمة جازمة[7] فيشتد الحرص من القلب، فلا يزال الشيطان بالعبد يقوده إلى الذنب[8] وينظم

---

(١) من باب إضافة الشيء إلى سببه كما قال ابن القيم في تفسيره ص : ١٠٧.

(٢) سورة الكهف من الآية : ٦٣.

(٣) في المخطوطة (الوسواس) وأثبت ما في تفسير ابن القيم.

(٤) وذلك أن الوسوسة بعض عمل الشيطان فلو استعاذ من شر وسوسته لكانت استعاذته من الوسوسة فحسب وإذا استعاذ من شر الوسواس كانت استعاذته من الوسوسة ومن سائر أعمال الشيطان وسيأتي ذكر بعض هذه الأعمال.

(٥) للوسوسة في النفس مراتب :

الأولى : الهاجس وهو ما يلقى فيها ولا يؤاخذ به.

الثانية : الخاطر : وهو ما يجري فيها وهو مرفوع أيضاً.

الثالثة : حديث النفس وهو تردده أن يفعل أو لا يفعل وهو مرفوع أيضاً.

الرابعة : الهم وهو قصد الفعل وهو مرفوع أيضاً.

الخامسة : العزم وهو قوة القصد والجزم به قالوا والمحكي عن المحققين الأخذ به لقوله ﷺ «أنه كان حريصاً على قتل صاحبه» متفق عليه.

أنظر إيقاظ الحواس في بعض أسرار سورة الناس : عبدالله الأهدل ص : ٤١. وقال الغزالي «وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا اصغى القلب إلى الخاطر حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا الهم وصار إرادة مجزومة فإذا إنجزمت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل «إحياء علوم الدين : الغزالي : جـ : ٣ ص : ٤١».

(٦) في تفسير ابن القيم (يمثل له).

(٧) في المخطوطة (فتصير الإرادة جازمة) وأثبت ما في تفسير ابن القيم.

(٨) كما قال تعالى ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ﴾ (مريم : ٨٣). أي تزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً.

شمل الاجتماع بـالطف حيلة وأتم مكيـدة. فأصـل كل معصيـة وبلاء إنمـا هو الوسوسة.

فلهـذا وصفـه بهـا لتكـون الاستعـاذة من شرهـا أهم، وإلا فشره بغـير الوسوسة حاصل أيضاً.

فمن شره أنه لص سارق لأموال الناس(١) فكـل طعام أو شراب لم يـذكر اسم الله عليه فله فيه حظ بالسرقة والخطف، وكذلـك يبيت في البيت الذي لم يذكر فيـه اسم الله(٢) فيأكـل طعام الأنس بغـير إذنهم، ويبيت في بيوتهم بغـير أمرهم، ويدل على عوراتهم فيأمر العبد بالمعصيـة، ثم يلقي في قلوب أعدائـه يقظة ومناماً أنه فعل كذا وكذا.

ومن هذا أن العبد يفعل الذنب لا يطلع عليه أحد من الناس(٣) فيصبـح والنـاس يتحـدثـون بـه، ومـا ذاك إلا أن الشيـطان يجهـد في كشف سـتره وفضيحتـه(٤). فيغتر العبـد، ويقول: هـذا ذنب لم يره إلا الله، ولم يشعـر بأن عدوه ساع في إذاعته وقل من يتفطن من الناس لهذه الدقيقة.

ومن شره أنه يعقد على رأس العبد إذا نـام عقده تمنعـه من اليقظة كـما في صحيح البخاري: « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هـو نام ثـلاث عقد . . . » الحديث(٥).

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فاتاني آت فجعل يحثو من الطعام فـأخذتـه، فقلت لأرفعنك إلى رسـول الله ﷺ فقص الحديث فقـال: « إذا أويت إلى فراشـك فاقـرأ آية الكـرسي. ولن يزال معـك من الله حافظ ولا يقـربك شيـطان حتى تصبح » وقـال النبي ﷺ: «صدقـك وهـو كذوب ذاك شيطان» رواه البخاري جـ: ٨ ص: ١٠٤، وانظر الحديث بتمامه جـ: ٣ ص: ٦٣ ـ ٦٤.

(٢) ويدل على هذا حديث حذيفة رضي الله عنه وفيه: . . . فقـال رسول الله ﷺ: « إن الشيـطان يستحل الـطعام أن لا يذكر اسم الله عليه » رواه مسلم جـ: ٢ ص: ١٥٩٧.

(٣) في المخطوطة (لا يطلع عليه إلا الله أحداً من الناس) وأثبت ما في تفسير ابن القيم.

(٤) وذلك أن الانسان إذا انكشف أمر معصيته قـد ييأس من استعـادة سمعته الحسنـة بين النـاس فيتمادى ويصعب عليه الرجوع، بخلاف إذا سترت معصيته ولم يطلع عليها أحد من الناس فيبدو له باب التوبة قريباً وكأن شيئاً لم يكن فتسهل عودته واستقامته.

(٥) وبقية الحديث: « يضرب كل عقدة عليك ليل طـويل فـارقد فـإن أستيقظ فذكـر الله إنحلت عقده فـإن توضـأ

ومن شره أنه يبول في أذن العبد حتى ينام إلى الصباح(1).

ومن شره أنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها فما من طريق من طرق الخير إلا والشيطان مرصد عليه يمنعه أن يسلكه(2)، فإن خالفه وسلكه ثبطه وعوقه. فإن عمله وفرغ منه سعى فيما يبطله(3).

ويكفي من شره أنه أقسم ليأتيهم من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم.

فإذا كان هذا شأنه وهمته في الشر فلا خلاص منه إلا بمعونة الله وتأييده ولا يمكن حصر أجناس شره، فضلاً عن آحادها، إذ كل شر في العالم فهو السبب فيه، ولكن ينحصر شره في ستة(4) أجناس.

فإذا ظفر بذلك من ابن آدم(5) استراح(6). وهو أول ما يريد من العبد، فإن يئس منه من ذلك، وكان ممن سبق له الإسلام في بطن أمه(7) نقله إلى (المرتبة الثانية) من الشر وهي : البدعة.

إنحلت عقده فإن صلى إنحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» صحيح البخاري جـ : ٢ ص ٤٦ وصحيح مسلم جـ : ١ ص : ٥٣٨.

(١) كما روى البخاري ومسلم « ذكر عند رسول الله ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح قال: ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، أو قال في أذنه» رواه البخاري جـ : ٢ ص : ٤٧، ورواه مسلم جـ : ١ ص : ٥٣٧، واللفظ له.

(٢) كما قال تعالى حكاية لقول أبليس لعنه الله «قال فبما اغويتني لا قعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » الاعراف: ١٦ ـ ١٧.

(٣) وبهذا يكون عمل الشيطان على ثلاث مراحل :

الأولى : أن يمنعه عن فعل الخير والعمل الصالح.

الثانية : إن عصاه وسلك طريق الخير لج به ليعوقه عن الاستمرار فيه والمداومة عليه.

الثالثة : إن لم يستطع سعى في جره إلى أمور تبطل ما فعله من خير من نحو المن في الصدقه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى** ﴾ (البقرة : ٢٦٤).

(٤) في المخطوطة (أربعة) ولكنه ذكر ستة كابن القيم في تفسيره.

(٥) في المخطوطة (بابن آدم) وأثبت ما في تفسير المعوذتين: لابن القيم.

(٦) وذلك أن الشركة أعظم ذنب عُصيَ الله تعالى به﴿ **إنَّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ (النساء: ٤٨).

(٧) لعله يريد من ولدوا في ديار الإسلام ولم يعرفوا الشرك.

وهي أحب إليـه من الفسوق والمعـاصي لأن ضررهـا متعـد[١] وهـو ذنب لا يتاب منه[٢] وهي مخالفة لدعوة الرسل. ودعاء الى خلاف مـا جاءوا بـه فإذا نال منه البدعة وجعله من أهلها، صار نائباً له وداعياً من دعاته، وإن عجز من هذه المرتبة نقله إلى (المرتبة الثالثـة) وهي الكبائـر على اختـلاف أنواعهـا. فهو أشد حرصاً على أن يوقعه فيها، ولاسيما أن كان عالماً متبوعـاً فهو حـريص على ذلك لينفر الناس منه ثم يشيع من ذنوبـه في الناس ويستنيب منهم من يشيعهـا تقرباً[٣] ـ بزعمه ـ إلى الله ـ وهـو نائب إبليس ولا يشعـر فإن الـذين يحبون أن تشيـع الفاحشـة في الذين آمنـوا لهم عذاب أليم[٤] هـذا إذا أحبـوا إشـاعتهـا فكيف إذا تـولوا هم إشـاعتها، فـإن عجز عن هـذه المـرتبـة نقله إلى (المـرتبـة الرابعة) وهي الصغائر التي إذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها، كما قال النبي ﷺ « **إيـاكم ومحقرات الـذنوب فـإن مثـل ذلـك مثـل قـوم نـزلـوا بفـلاة من الأرض** » وذكر حديثاً[٥] معناه أن كل واحد منهم جاء بعود حطب حتى أوقدوا ناراً عظيمة فطبخوا.

ولا يـزال يسهل عليـه أمر الصغـائر حتى يستهـين بها، فيكـون صـاحب

---

(١) لقوله عليه الصلاة والسلام « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » صحيح مسلم جـ : ٢ ص : ٧٠٥ .

(٢) وذلك من وجهين :

الأول : لأن البدعة ـ كما قال ابن القيم ـ «ضررها في الدين وهو متعد» وعليه أثمها وأثم من عمل بها إلى يوم القيامة وتوبته عن عمله هو ببدعته لا عن البدعة نفسها لأنها خرجت من يده بعمل الناس بها وأخذهم بها وهذا عمل يبوء بأثمة، ويبقى تحت المشيئة.

الثاني : لأن صاحب البدعة يعتقد أن بدعته طاعة لله وليست بذنب تطلب التوبة منه فلا يزال ملتزماً لها لا يتوب عنها وهذا ما يظهر من كونها لا يتاب منها والله أعلم.

(٣) وما أكثر الذين يخوضون في أعراض العلماء في مجالس العامة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

(٤) كما قال تعالى ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ (النور ١٩).

(٥) وهو حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إياكم ومحقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى انضجوا خبزتهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه » رواه الامام أحمد في مسنده جـ : ٥ ص : ٢٣١ .

الكبيرة الخائف أحسن حالاً منه، فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة نقله إلى : (المرتبة الخامسة) وهي : انشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عاقبتها فوات الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها، فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة، وكان حافظاً لوقته شحيحاً به، يعلم أنه مقدار أنفاسه وانقطاعها وما يقابلها من النعيم والعذاب نقله إلى : (المرتبة السادسة) وهي أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليفوته ثواب العمل الفاضل فيأمره بفعل الخير المفضول ويحضه عليه إذا تضمن ترك ما هو أفضل منه، وقل من يتنبه لهذا من الناس فإنه إذا رأى فيه داعياً قوياً إلى نوع من الطاعة فإنه لا يكاد[1] يقول هذا الداعي من الشيطان فإن الشيطان لا يأمر بخير، ويرى أن هذا خير[2] ولم يعلم أن الشيطان يأمره بسبعين باباً من أبواب الخير، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر، وإما ليفوت بها خيراً أعظم من تلك السبعين باباً، وأجل، وأفضل.

وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من الله يقذفه في قلب العبد يكون سببه تجريد متابعة الرسول، وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله، وأحبها إليه، وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحة لله، ولرسوله ولكتابه، ولعباده المؤمنين، خاصتهم وعامتهم، وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك لا يخطر بقلوبهم[3].

فإذا أعجزه العبد من هذه المراتب الست[4] سلط عليه حزبه[5] من

---

(١) أي يستبعد أن يكون هذا من وسوسة الشيطان لجهله أن الشيطان قد يأمر بخير لتفويت أعظم منه فضلاً.

(٢) في المخطوطة (خيراً) وصححته من تفسير المعوذتين لابن القيم.

(٣) في المخطوطة (محجوبون، ذلك لا يخطر بقلوبهم).

(٤) في المخطوطة (هذه المراتب) ولم يذكر عددها وأثبت ما في تفسير المعوذتين لابن القيم، وقد مر بنا في هامش سابق أن الشيخ حصرها بأربع مراتب ولكنه ذكر ستا.

(٥) بل قد يسلط عليه الشيطان من ليسوا من حزبه ممن فيهم صلاح فيدخل عليهم من باب الوسوسة بتبرئة الذمة فيقعون في أعراض المسلمين والعلماء ويشنعون عليهم اخطاءهم وهفواتهم، ويرون أن ذمتهم لا تبرأ حتى يعلنوا ذلك للناس، بل قد يقع ذلك من بعض علماء المسلمين فيدخل عليهم الشيطان من باب الحسد والغيرة، فينكرون على من فاقهم علماً وصلاحاً واستقامة وإن كانوا يعلمون صدقه، بل قد يكفرونهم ويلصقون بهم وبدعوتهم الأباطيل ومن أشهر الأمثلة على ذلك ما جرى على ابن تيمية رحمه الله تعالى من بعض علماء عصره وما جرى للشيخ محمد بن الوهاب من بعض علماء عصره وموقفهم من دعوته ومحاربتها وتشويهها.

الإنس والجن بأنواع الأذى، والتكفير، والتبديع، والتحذير منه ليشوش عليه قلبه، وليمنع الناس من الانتفاع به.

فحينئذ يلبس المؤمن لأمة[١] الحرب ولا يضعها عنه، إلى الموت ومتى وضعها أسر وأصيب فلا يزال في جهاد حتى يلقى الله.

فتأمل هذا الفصل وتدبره، واجعله ميزانك، تزن به نفسك، وتزن به الناس والله المستعان.

وتأمل السر في قوله تعالى ﴿ يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ ولم يقل قلوبهم، والصدر هو ساحة القلب، وهو بمنزلة الدهليز وبيته، فمنه تدخل[٢] الواردات إليه فتجتمع في الصدر ثم تلج في القلب، ومن القلب تخرج[٣] الأوامر، والإرادات إلى الصدر، ثم تتفرق على الجنود[٤].

ومن فهم هذا فهم قوله تعالى ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[٥] فالشيطان يدخل إلى ساحة القلب وبيته ويلقي ما يريد إلقاءه إلى القلب.

فهو موسوس[٦] في الصدر وسوسة واصلة إلى القلب، ولهذا قال تعالى ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾[٧] ولم يقل: فيه، لأن المعنى أنه القى اليه ذلك وأوصله إليه فدخل في قلبه[٨].

وقول تعالى: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾[٩].

---

(١) اللأمة: الدرع. لسان العرب جـ: ١٢ ص: ٥٣٢.

(٢) في المخطوطة (يدخل).

(٣) في المخطوطة (يخرج).

(٤) وفي إيثار الصدور على القلوب نكتة أخرى وهي المبالغة في نعت الوسوسة أنها تملأ الصدور التي هي بيت القلب فيمتلىء بها القلب ويضيق بها الصدر حرجاً، وفي الآية مجاز مرسل بإطلاق اسم المحل على الحال (انظر إيقاظ الحواس في بعض أسرار سورة الناس: عبدالله الأهدل: ص ٢٣ ـ ٢٤).

(٥) سورة آل عمران: الآية: ١٥٤.

(٦) في المخطوطة (فهوسوس) وهو خطأ فصححته.

(٧) سورة طه: من الآية: ١٢٠.

(٨) فالوسوسة في الصدر ومنه إلى القلب.

(٩) سورة الناس، آية «٦».

اختلف الناس في هذا الجار والمجرور، وبم يتعلق فقال الفراء وجماعة. هو بيان للناس الموسوس في صدورهم[١]. أي أن الموسوس في صدورهم قسمان: إنس وجن، فالوسواس يوسوس للجني كما يوسوس للإنسي، وهذا القول ضعيف جداً لوجوه منها[٢]:

أنه لم يقم دليل على أن الجني يوسوس في صدر الجني ويدخل فيه كما يدخل في الإنسي.

(والناس)[٣] اسم لبني آدم، فلا يدخل الجن في مسماهم.

والصواب القول الثاني وهو: أن قوله ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان للذي يوسوس، وأنهم نوعان، إنس، وجن، فالجني يوسوس في صدر الإنسي، والإنسي يوسوس إلى الإنسي[٤].

فالموسوس نوعان: إنس، وجن.

فإن الوسوسة هي: الإلقاء الخفي في القلب[٥]. وهذا مشترك بين الجن والإنس، وإن كان القاء الإنسي ووسوسته إنما هي بواسطة الأذن، والجني لا يحتاج إلى الواسطة لأنه يدخل في ابن آدم ويجري منه مجرى الدم[٦]. على أن الجني قد يتمثل ويوسوس إليه في أذنه كالانسي كما في البخاري[٧] عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ ـ أنه قال: « أن الملائكة تحدث[٨] في العنان ـ والعنان الغمام ـ بالأمر يكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة

---

(١) عبارة الفراء «الناس هاهنا قد وقعت على الجنة وعلى الناس كقولك: يوسوس في صدور الناس: جنتهم وناسهم » ثم استشهد لذلك (أنظر معاني القرآن: للفراء جـ: ٣ ص: ٣٠٢.

(٢) ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسيره هنا أربعة وجوه وتوسع في بيانها، ولم يذكر الشيخ هنا إلا وجهين.

(٣) هذا هو الوجه الثاني.

(٤) عند ابن القيم (في صدور الانس).

(٥) ذكرت تعريف الوسوسة فيما سبق.

(٦) كما ورد في الحديث «أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» صحيح البخاري جـ: ٨ ص: ١١٤ وصحيح مسلم جـ: ٤ ص: ١٧١٢.

(٧) رواه البخاري في صحيحه جـ: ٤ ص: ٩٤ وليس فيه (من عند انفسهم).

(٨) في المخطوطة (تحدر).

فتقرها(١) في أذن الكاهن، كما تقر(٢) القارورة، فيزيدون معها مائة كذبه من عند أنفسهم ».

فهذه(٣) وسوسة والقاء من الشيطان(٤) بواسطة الأذن، ونظير اشتراكهما(٥) في هذه الوسوسة(٦) اشتراكهما في الوحي الشيطاني، قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾(٧) (٨).

ونختم الكلام على السورتين(٩) في ذكر قاعدة نافعة فيما يعتصم به العبد من الشيطان ويحترز منه(١٠)، وذلك عشرة أسباب(١١): (أحدها) الاستعاذة

---

(١) قال ابن الاثير: «القر: ترديد الكلام في اذن المخاطب حتى يفهمه». وقر القارورة: صوتها اذا صب الماء فيها، النهاية في غريب الحديث جـ: ٤ ص: ٣٩. وقال الزمخشري: « قررت الكلام في أذنه إذا وضعت فاك على أذنه فاسمعته كلامك ». الفايق في غريب الحديث جـ: ٣ ص: ١٧٨.

(٢) في المخطوطة (فيقرها .. كما يقر).

(٣) في المخطوطة (فهذا).

(٤) يعني شيطان الجن.

(٥) أي شيطان الجن وشيطان الانس.

(٦) والمعنى أن شياطين الانس والجن يشتركان في الوسوسة بواسطة الاذن ويزيد الشيطان بالوسوسة بدون واسطة الاذن، ويشتركان في أمور أخرى عد منها الوحي الشيطاني.

(٧) سورة الأنعام: الآية: ١١٢.

(٨) من قوله (وهذا القول ضعيف جداً لوجوه منها) إلى هنا رد من المؤلف على أصحاب القول الأول وهو أن (من الجنة والناس) بيان للموسوس في صدورهم، وترجيح للقول الثاني وهو أنها بيان للذي يوسوس، وبنى ابن القيم رحمه الله تعالى على هذا الترجيح أن الاستعاذة على القول الأول إنما تكون من شر شياطين الجن فقط، وتكون على القول الثاني من شر شياطين الانس والجن. أنظر تفسير المعوذتين ص: ١٢٢.

(٩) أي سورة (الفلق) وسورة (الناس).

(١٠) للشيطان في قلب ابن آدم حالتان:

١ - حالة استقرار.

٢ - حالة اجتياز وخطرات.

فإذا سد الانسان منافذ الشيطان إلى القلب ومداخله ومنها إتباع الشهوات، والغضب، والحسد، والحرص.. وغير ذلك وقطع عن الشيطان هذا القوت فلا استقرار له فيه وبقيت له حالة الاجتياز والخطرات.

ويمنعه من الإجتياز والخطرات ذكر الله تعالى فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس، وذكر المؤلف هنا ما يمنع الحالتين باذن الله تعالى.

(١١) الأسباب أكثر من ذلك بكثير، وإنما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى هنا أهمها وأشهرها وقد ذكر الاستاذ وحيد عبدالسلام في كتابه (وقاية الانسان من الجن والشيطان) ستة وثلاثين حرزاً.

بالله من الشيطان الرجيم[(١)].

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[(٢)] والمراد بالسميع هـهنا سميع الإجابة لا السمع العام.

(الحرز الثاني) قراءة هاتين السورتين.

فإن لهما تأثيراً عجيباً في الإستعاذة[(٣)] بالله من شره ودفعه ولهـذا قال النبي ﷺ ما تعوذ المتعـوذون بمثلهما[(٤)] وكـان يتعوذ بهـما كل ليلة عنـد النوم[(٥)] وأمـر عقبة بن عامر أن يتعوذ بهما دبر كل صلاة[(٦)] وذكر ﷺ أن من قرأهما مع سـورة الاخلاص ثلاثاً حين يمسي وثلاثاً حين يصبح كفته من كل شيء[(٧)].

(الحرز الثالث) قراءة آية الكرسي[(٨)].

---

(١) لابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه إغاثة اللهفان جـ: ١ ص: ١٠٩ ـ ١١١ مبحث نفيس في أسرار الإستعاذة والحكمة منها.

(٢) سورة فصلت: الآية: ٣٦.

(٣) في المخطوطة (والإستعاذة).

(٤) لم أجده بهذا اللفظ وفي الحديث عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: قل قلت: وما أقول؟ قال: قل هو الله أحد قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس، فقرأهن رسول الله ﷺ ثم قال: لم يتعوذ الناس بمثلهن، أو لا يتعوذ الناس بمثلهن رواه النسائي جـ: ٨ ص: ٢٥١.

(٥) في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما (قل هو الله احد) و(قل أعوذ برب الفلق) و(قل أعوذ برب الناس) ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات» صحيح البخاري جـ: ٦ ص: ١٠٦.

(٦) ونص الحديث: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن اقرأ المعوذات دبر كل صلاة سنن أبي داود حديث ١٥٢٣ جـ: ٢ ص: ٨٦، وسنن النسائي جـ: ٣ ص: ٦٨، والترمذي في جامعه جـ: ٥ ص: ١٧١ وقال حسن غريب.

(٧) ونص الحديث عن عبدالله بن خبيب رضي الله عنه قال «خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلي لنا. » قال فادركته، فقال: قل. فلم أقل شيئاً، ثم قال قل فلم أقل شيئاً، قال: قل قلت: ماأقول؟ قال: قل هو الله احد، والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه جـ: ٥ ص: ٥٦٧ ـ ٥٦٨ وأبو داود جـ: ٤ ص: ٣٢٢، والنسائي جـ: ٨ ص: ٢٥٠.

(٨) أوردت الحديث فيما سبق.

(الحرز الرابع) قراءة سورة البقرة.

ففي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: « إن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان »[1].

(الحرز الخامس) خاتمة البقرة.

فقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه[2].

(الحرز السادس) أول سورة حم المؤمن. إلى قوله: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[3].

ففي الترمذي من حديث عبدالرحمن بن أبي بكر بن أبي ليلى[4] عن زراره ابن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ حم المؤمن إلى قوله (إليه المصير) وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح، وعبدالرحمن المليكي وإن كان قد تكلم فيه من قبل حفظه فالحديث له شواهد في قراءة آية الكرسي، وهو محتمل على غرابته.

---

(١) رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح ولفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لا تجعلوا بيوتكم مقابر، وأن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان». الجامع الصحيح: للترمذي جـ: ٥ ص: ١٥٧، وقول المصنف رحمه الله تعالى (ففي الصحيح) إشارة إلى رواية مسلم ولفظه « لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة » صحيح مسلم جـ: ١ ص: ٥٣٩.

(٢) رواه البخاري جـ: ٦ ص: ١٠٤، ومسلم جـ: ١ ص ٥٥٥.

(٣) سورة غافر: الآية: ٣ والآيات من « حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله إلا هو اليه المصير ».

(٤) كذا في المخطوطة وهو خطأ وفي تفسير ابن القيم ورد في الطبعات الاربع (عبدالرحمن بن أبي بكر عن أبي مليكه) وفي الطبعة الهندية بتحقيق عبدالصمد شرف الدين (عبدالرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكه) وقد علق المحقق فقال « وفي كلتى الطبعتين (حديث عبدالرحمن بن أبي بكر عن أبي مليكه وهو خطأ فاحش » ص ٩٩ وما قاله هو الصواب فقد ورد الاسم كذلك في جامع الترمذي عبدالرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكه المليكي) جـ: ٥ ص: ١٥٨ وكذا عند الدارمي جـ: ٢ ص: ٤٤٩ ورد (عبدالرحمن بن أبي بكر المليكي).

قال في تهذيب التهذيب جـ: ٦ ص: ١٤٦ «عن ابن معين ضعيف وقال أبو حاتم ليس بقوى في الحديث وقال النسائي ليس بثقة.. وعن أحمد منكر الحديث وقال الساجي صدوق فيه ضعف يحتمل».

أما الحديث فقال الترمذي (هذا حديث غريب) وقال الألباني «ضعيف» أنظر ضعيف الجامع الصغير جـ: ٥ ص: ٢٣٥ حديث ٥٧٨١.

(الحرز السابع) لا إلـه إلا الله وحده لا شريـك له، لـه الملك وله الحمـد وهو على كل شيء قدير مائة مرة.

ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قـال: من قال: لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كـانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مـائة سيئـة، وكانت لـه حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحـد بأفضـل مما جـاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك[1].

فهـذا حرز عـظيم النفع، جليـل الفائـدة، يسير سهـل على من يسره الله عليـه (الحرز الثـامن): وهـو من أنفـع الحـروز من الشيـطان: كـثرة ذكـر الله عز وجل وهذا بعينه هو الذي دلت عليـه سورة النـاس، فإن وصف الشيـطان فيها بأنه الخناس والخناس إذا ذكر العبد ربه انخنس، فـإذا غفل عن ذكـر الله التقم القلب والقي اليه الوسـاوس، فما أحـرز العبد نفسـه من الشيطان بمثـل ذكر الله عز وجل[2].

(الحرز التاسع) الوضوء[3]، والصلاة[4].

وهذا من أعظم ما يتحرز العبد به ولا سيما عند الغضب والشهوة فإنها نار

---

(١) صحيح البخاري جـ: ٤ ص: ٩٥، وصحيح مسلم جـ: ٤ ص: ٢٠٧١.

(٢) بل الذكر أول ما ينسيه الشيطان العبد إذا استحوذ عليه قال تعالى ﴿ **استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله** ﴾ (المجادلة: ١٩) والشيطان يلازم من يَعْشُ عن ذكر الله قال تعالى: ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾ (الزخرف: ٣٦).

(٣) وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « طهروا هذه الأجساد طهركم الله فإنه ليس من عبد يبيت طاهراً إلا بات معه في شعاره ملك، ولا ينقلب ساعة من الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهراً » رواه الطبراني في الاوسط بإسناد جيد.
قاله المنذري في الترغيب والترهيب جـ: ١ ص: ٤٠٩ وهو في المعجم الكبير جـ: ١٢ ص: ٤٤٦ وروى البزار نحوه عن عمر انظر كشف الاستار عن زوائد البزار للهيثمي جـ: ١ ص: ١٤٩ ـ ١٥٠ قال الهيثمي (كذلك هو عند البزار وأرجو أنه حسن الإسناد) جـ: ١ ص: ١٢٦، مجمع الزوائد.

(٤) وفي الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد إستحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» رواه أبو داود جـ: ١ ص: ١٥٠.

تصلى[١] في قلب ابن آدم، كما روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم**»[٢] فما أطفأ[٣] العبد جمرة الغضب بمثل الوضوء، والصلاة، فإن الصلاة إذا وقعت بخشوعها والإقبال على الله فيها اذهبت أثر ذلك جملة، وهذا أمر تجربته تغني عن إقامة الدليل.

(الحرز العاشر) إمساك فضول النظر، والكلام، والطعام، ومخالطة الناس فإن الشيطان إنما ينال غرضه من ابن آدم من هذه الأبواب الأربعة فإن فضول النظر: يدعو إلى الاستحسان، ووقوع المنظور[٤] إليه في القلب والإشتغال به، وفي المسند عن النبي ﷺ أنه قال: «النظرة[٥] سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره[٦] أورثه الله حلاوة يجدها في قلبه إلي يوم يلقاه» أو كما قال النبي ﷺ[٧] وأما فضول الكلام[٨] فإنها تفتح للعبد أبواباً من الشر كلها مداخل للشيطان[٩] فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب، وكم من حرب جرتها كلمة واحدة وقد قال النبي ﷺ: «وهل يكب

---

(١) عند ابن القيم (تغلي).

(٢) من حديث طويل وفيه «ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم إلى حمرة عينية وإنتفاخ أوداجه فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض. الحديث» رواه الترمذي. وقال هذا حديث حسن صحيح جـ: ٤ ص: ٤٨٣ ـ ٤٨٤ والإمام أحمد في مسنده جـ: ٣ ص: ١٩.

(٣) في المخطوطة (طفى) والتصويب من تفسير المعوذتين لابن القيم.

(٤) في المخطوطة (يدعو إلى إستحسان وقوع المنظور).

(٥) في المخطوطة (النظر).

(٦) لغض البصر فوائد عديدة يطول شرحها ولابن القيم رحمه الله تعالى كلام نفيس في هذا المقام ذكره في كتابه (إغاثة اللهفان) جـ: ١ ص: ٥٩ ـ ٦١.

(٧) الحديث الذي في المسند حديث أبي إمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مره ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها» جـ: ٥ ص: ٢٦٤. وقال الألباني (ضعيف جداً) الأحاديث الضعيفة جـ: ٣ ص: ١٧٦.

وأما الحديث الذي أستدل به المؤلف فهو في المعجم وليس في المسند. ولعله تصحيف من المؤلف أو الناسخ قال المنذري في الترغيب والترهيب جـ: ٣ ص: ٣٤» خرجه الطبراني والحاكم (جـ: ٤ ص: ٣١٤) من رواية عبدالرحمن بن إسحاق الواسطي وهو واه. وقال الألباني ضعيف جداً الأحاديث الضعيفة جـ: ٥ ص: ١٧٧.

(٨) أما هذا فلا ينتهى الحديث عن آفاته وقد أولاه علماء التهذيب والأخلاق إهتمامهم وألف عدد منهم مؤلفات مستقلة في الصمت وحفظ اللسان، وفي آفات اللسان بحوث ورسائل عديدة.

(٩) كالغيبة، والنميمة، والغناء، والكذب، والإستهزاء، واللعن... وغير ذلك كثير من آفات اللسان التي تفتح ـ كما قال ـ أبواباً للشيطان.

الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد السنتهم[١]». وفي الترمذي: «أن رجلاً من الانصار توفي فقال بعض الصحابة: طوبى له، فقال النبي ﷺ: فما يدريك فلعله تكلم بما لا يعنيه، أو بخل بما لا ينقصه»[٢].

وأكثر المعاصي إنما تولد من فضول الكلام والنظر[٣]، وهما أوسع مداخل الشيطان فإن جارحتيهما لا يملان ولا يسأمان بخلاف شهوة البطن. فإنه إذا امتلأ[٤] لم يبق فيه إرادة للطعام، وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا.

وكان السلف يحذرون من فضول الكلام[٥] وكانوا يقولون ما من شيء أحوج إلى طول السجن من اللسان[٦][٧].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ: ٥ ص: ٢٣١، والترمذي جـ: ٥ ص: ١٢، وقال (هذا حديث حسن صحيح) ورواه الحاكم في المستدرك جـ: ٢ ص: ٤١٣، (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي جـ: ٤ ص: ٢٣١٦ وقال «هذا حديث غريب» ورواه ابن ابي الدنيا في كتاب الصمت بلفظ آخر ص: ٧٣ - ٧٤.

(٣) ولذا فحين سئل الرسول ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار قال: «الأجوفان: الفم والفرج» مسند الإمام أحمد جـ: ٢ ص: ٢٩١، والترمذي جـ: ٤ ص: ٣٦٣ وقال (هذا حديث صحيح غريب) ورواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي جـ: ٤ ص: ٣٢٤.
ووعد من يحفظها عن المحرمات بالجنة فقال ﷺ «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنه» رواه البخاري جـ: ٧ ص: ١٨٤.

(٤) في المخطوطة (امتلى).

(٥) في المخطوطة (من فضول النظر) وهو خطأ فهو يتحدث عن فضول الكلام.

(٦) وينسب هذا القول لابن مسعود رضي الله عنه (انظر تصفية القلوب: يحيى بن حمزة اليماني ص ١٠٠).

(٧) لكن ينبغي أن يعلم أن حفظ اللسان إنما هو من فضول الكلام وحفظ اللسان حق بين باطلين ذلك أن للسان آفتين عظيمتين هما:
١ - آفة الكلام.
٢ - آفة السكوت.
إن سلم العبد من إحداهما لم يكد يسلم من الأخرى، وليست الثانية بأقل خطراً من الأولى فالساكت عن الحق شيطان أخرس، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، وكثير من الناس إنحرف لسانه إلى أحد الباطلين أو لهما معا.
وأهل الحق كفوا ألسنتهم عن الباطل وأطلقوها في الخير والفضائل، صمتهم تذكر ودعاء ومناجاة وكف عن الباطل، وكلامهم ذكر وأمر بمعروف ونهي عن منكر.
قال تعالى ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ (النساء: ١١٤
وقال ﷺ «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم ﴾ رواه البخاري جـ: ٧ ص: ١٨٥ (أنظر آفات اللسان: إبراهيم المشوخي ص: ١٥٩).

وأما فضول الطعام[1] فهو داع لأنواع كثيرة من الشر، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي ويثقلها[2] عن الطاعات وحسبك بهذين شراً فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام[3]، ولهذا جاء في بعض الآثار «ضيقوا مجاري الشيطان بالصوم»، وقال النبي ﷺ : «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن»[4] ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله، فإذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة غلبه الشيطان وشهاه وهام به في كل واد، فإن النفس إذا شبعت تحركت وطافت على أبواب الشهوات وإذا جاعت سكنت وذلت[5].

وأما فضول المخالطة فهو الداء العضال، الجالب لكل شر، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازة، ففضول المخالطة[6] خسارة في الدنيا والآخرة، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة[7] ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى

---

(١) في المخطوطة (وأما فضول الكلام) وهو سبق قلم.

(٢) في المخطوطة (ويثقله) والصواب ما أثبته من ابن القيم.

(٣) ذكر الإمام الغزالي في منهاج العابدين ص ١٠٣ وما بعدها عشر آفات لفضول الطعام الحلال، ولابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى بحث نفيس في هذا عند شرحه لحديث (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن) في كتابه (جامع العلوم والحكم) جـ : ٣ ص : ٣١٦ - ٣٢٨.

(٤) ونص الحديث «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه» رواه الامام أحمد في مسنده جـ : ٤ ص : ١٣٢. والحاكم في مستدركه جـ : ٤ ص : ٣٣١ - ٣٣٢ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الالباني (ارواء الغليل جـ : ٧ ص : ٤١).

(٥) عقد الإمام الغزالي في الإحياء جـ : ٣ ص : ٨٠ مبحثاً في فضيلة الجوع وذم الشبع وفي ص ٨٤ عقد مبحثاً آخر في بيان فوائد الجوع وآفات الشبع وذكر أن في الجوع عشر فوائد منها صفاء القلب وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة ومنها رقة القلب ومنها الإنكسار والذل وزوال البطر ومنها أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ومنها كسر شهوات المعاصي، ومنها صحة البدن ودفع الأمراض وغير ذلك ذلك، ثم قال (فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها) الإحياء جـ : ٣ ص : ٨٨.

(٦) في المخطوطة (ففضول المخالطة بمقدار الحاجة) وسقط منها ما أثبته من تفسير المعوذتين لابن القيم ولعل هذا سقط سبق نظر من الناسخ.

(٧) ذكر ابن القيم رحمه الله ضابطاً لمخالطة الناس فقال: «والضابط النافع في أمر الخلطة أن يخالط الناس في خير - كالجمعة والجماعة، والأعياد والحج، وتعلم العلم، والجهاد، والنصيحة، ويعتزلهم في الشر وفضول المباحات، فإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر ولم يمكنه إعتزالهم فالحذر الحذر أن يوافقهم وليصبر على اذاهم

خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينهما دخل عليه الشر :-
(احدها) من مخالطته كالغذاء، لا يستغنى عنه في اليوم والليلة، فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة، ثم إذا إحتاج اليه خالطه، هكذا على الدوام وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر[1] وهم العلماء بالله وأمره، ومكائد عدوه، وأمراض القلوب، وأدويتها، الناصحون لله ولكتابه ولرسوله، ولخلقه، فهذا الضرب من مخالطتهم الربح كله.

(القسم الثاني) من مخالطتهم كالدواء، تحتاج إليه عند المرض فمادمت صحيحاً فلا حاجة لك في خلطته، وهم من لا تستغني عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، وقيام ما أنت تحتاج إليه في أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة.

(القسم الثالث) من مخالطتهم كالداء، على إختلاف أنواعه، وقوته، وضعفه فمنهم من مخالطته كالداء العضال، وهو من لا تربح عليه في دين ولا دنيا ومع ذلك فلابد أن تخسر عليه الدين والدنيا، أو أحدهما، فهذا إذا تمكنت مخالطته واتصلت، فهى مرض الموت المخوف.

ومنهم من مخالطته كوجع الضرس، فإذا فارقك سكن الألم.

ومنهم من مخالطته حمى الربع[2] وهو الثقيل البغيض الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك، ولا يعرف نفسه[3]

فإنهم لا بد أن يؤذوه إن لم يكن له قوة ولا ناصر، ولكن أذى يعقبه عز ومحبة له وتعظيم وثناء عليه منهم ومن المؤمنين ومن رب العالمين، وموافقتهم يعقبها ذل وبغض له ومقت وذم منهم ومن المؤمنين ومن رب العالمين فالصبر على أذاهم خير وأحسن عاقبة وأحمد مآلا.

وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله، إن أمكنه ويشجع نفسه ويقوى قلبه، فإن أعجزته المقادير عن ذلك فَلْيَسُلَّ قلبه من بينهم كَسلِّ الشعرة من العجين...»

أنظر مدارج السالكين لابن القيم جـ: ١ ص: ٤٤٥ ـ ٤٥٦.

(١) قال الميداني في مجمع الأمثال جـ ٢ ص: ٤٤ «وأما قولهم» أعز من الكبريت الأحمر «فيقال: هو الذهب الأحمر، ويقال بل هو لا يوجد إلا أن يذكر».

(٢) قال الثعالبي «الوباء: المرض العام. العِدَادُ المرض الذي يأتي لوقت معلوم مثل حمى الربع» فقه اللغة ص: ١٢٤.

(٣) في المخطوطة (منزلته).

فيضعهـا في منـزلتهـا، بـل إن تكلم، فكـلامـه كـالعصي تنـزل عـلى قلوب السامعين، مع إعجابه بكلامه، وإن سكت فأثقل من نصف الرحي العـظيمة التي لا يطاق حملها.

ويـذكر عن الشـافعي رحمه الله أنـه قال: « مـا جلس إلى جنبي ثقيـل إلا وجدت الجانب الذي هو فيه أثقل من الجانب الآخر »[١].

ورأيت يـوماً عنـد شيخنـا[٢] قـدس الله روحـه رجـلاً من هـذا الضرب والشيخ يحمله وقد ضعفت القوى عن حمله، فالتفت إلي وقال: مجالسـة الثقيل حمى الربع. ثم قال: ولكن أدمنت أرواحنا على الحمل فصـارت لها عـادة، أو كما قال. وبالجملة فمخالطة كل مخالف حمى الربع، ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتـلى بواحـد من هذا الضرب، وليس لـه بد من معـاشرتـه ومخـالـطتـه[٣] فليعاشره بالمعروف حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا.

(القسم الرابع) من مخالطته هلكة، ومخالطته بمنزلة أكل السم، فـإن اتفق لآكله تـرياق وإلا فـأحسن الله فيه العـزاء، وما أكـثر هـذا الضرب في النـاس لاكثرهم الله، وهم أهل البدع والضلالـة، الصادون عن سنـة رسول الله ﷺ الداعون إلى خلافها فيجعلون البدعة سنة، والسنة بدعة.

إن جـردت التوحيـد قالـوا: تنقصت الأولياء والصـالحـين، وأن جـردت المتابعة للرسول قالوا: أهدرت الأئمة المتبوعين، وإن وصفت الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غـير غلو ولا تقصير قـالوا: أنت من المشبهـين، وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ونهيت عن المنكر قالوا: أنت من

---

(١) ومن حكم الشافعي - رحمه الله تعالى - في مخالطة الناس « الإنقباض عن الناس مكسبة للعداوة والإنبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط» صفة الصفوة: ابن الجوزي جـ : ٢ ص : ٢٥٣. ومنها «لا خير في صحبة من تحتاج إلى مداراته» طبقات الشافعية الكبرى السبكي جـ : ٢ ص : ١٣٦.

(٢) المراد به ابن تيمية رحمه الله تعالى شيخ ابن القيم مؤلف أصل التفسير.

(٣) إشارة إلى قول المتنبي :

ومـن نكـد الـدنـيـا عـلى المـرء أن يـرى ... عـدواً لـه مـا مـن صـداقـتـه بـد

المفتنين، وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا: أنت من الملبسين[1] وإن تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم فأنت عند الله من الخاسرين وعندهم من المنافقين.

فالحزم كل الحزم التماس مرضاة الله ورسوله بإغضابهم وأن لا تبالي بذمهم ولا بغضهم فإنه عين كمالك. كما قال:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي باني فاضل[2]

وقال آخر[3] :

لقد زادني حبا لنفسي أنني[4] ... بغيض إلى كل امرىء، غير طائل[5]

فمن كان[6] بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التي هي أصل بلاء العالم وهي فضول النظر، والكلام، والطعام، والمخالطة، واستعمل ما ذكرناه من الأسباب التسعة[7] التي يتحرز بها من الشيطان فقد أخذ بنصيبه من التوفيق وسد على نفسه باب جهنم وفتح عليها باب الرحمة ويوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء، فعند الممات يحمد العبد التقي[8] و(عند الصباح يحمد القوم السرى)[9].

---

(١) عند ابن القيم (وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا: أنت من أهل البدع المضلين، وإن إنقطعت إلى الله تعالى وخليت بينهم وبين جيفتهم الدنيا قالوا: أنت من الملبسين).

(٢) هذا البيت للمتنبي من قصيدة يمدح فيها القاضي أبا الفضل أحمد بن عبدالله الأنطاكي. أنظر شرح ديوان المتنبي للبرقوقي جـ: ٣ ص: ٣٧٦ وورد فيه السطر الثاني من البيت هكذا: (فهي الشهادة لي باني كامل).

(٣) سقطت من المخطوطة.

(٤) في المخطوطة (وقد) وكذا عند ابن القيم ـ في المخطوطة (باني).

(٥) هذا البيت للطرماح بن حكيم. أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبه ص ٣٩٠.

(٦) عند ابن القيم (فمن أيقظ بواب قلبه).

(٧) أي التي قبل هذا الحرز، فالمجموع عشرة.

(٨) أحسبه مثلاً لكني لم أجده في كتب الأمثال.

(٩) هذا شطر بيت لخالد بن الوليد رضي الله عنه وهو:

عند الصباح يحمد القوم السرى ... وتنجلي عنهم غيابات الكرى

وهو من أبيات لخالد قالهن حين أمره أبو بكر رضي الله عنه وهو باليمامه أن يسير إلى العراق، فسلك المفازة وجَدَّ

والله الموفق لا رب غيره ولا إلـه سواه.

آخر الكلام على السورتين[1] والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وسلم.

في السير فقطعها في أربع ليـال والمثل يضرب لمن يحتمـل المشقة رجـاء الراحـة (مجمع الأمثـال: الميداني جـ : ٢ ص : ٣).

(١) ذكر العلماء رحمهم الله تعالى نكتة لطيفة في ختم القرآن الكريم بسورة النـاس وبيانها: «أن القـرآن مادة الهـدى والعلم والخير في القلب، كما أن الماء مادة النبـات، والشيطان نـار يحرق النبـات أولاً فأولا، فكلما أحس بنبـات الخـير من القلب سعى في أفساده وإحـراقه فـأمر أن يستعيـذ بالله عـز وجل منـه لئلا يفسـد عليه مـا يحصل لـه بالقرآن... وكأن من قال إن الإستعاذة بعد القراءة لاحظ هذا المعنى وهو لعمر الله ملحظ جيـد، إلا أن السنة وأثار الصحابة إنما جـاءت بالإستعـاذة قبل الشروع في القـراءة وهو قـول جمهور الأمـة من السلف والخلف وهو محصل للأمرين». إغاثة اللهفان لابن القيم جـ : ١ ص : ١١٠.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجـــع :

١ ـ آفات اللسان، إبراهيم المشوخي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م، مكتبة المنار، الأردن.
٢ ـ آكام المرجان في أحكام الجان، لأبي عبدالله عمر بن عبدالله الشبلي، دار الباز ـ مكة المكرمة.
٣ ـ إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار الندوة الجديدة، بيروت.
٤ ـ أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق وتعليق/ مصطفى السقا، دار الباز، مكة المكرمة، الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ.
٥ ـ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح بن فوزان الفوزان، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ).
٦ ـ تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم). أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار المصحف، القاهرة.
٧ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.
٨ ـ الإعتصام، أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، دار المعرفة، بيروت.
٩ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق/ محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه بمصر (١٣٨١ هـ).
١٠ ـ الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الكتاب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
١١ ـ إيقاظ الحواس في بعض أسرار سورة الناس، السيد عبدالله بن عبدالباري الأهدل، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة. مكة المكرمة.
١٢ ـ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر ـ الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.
١٣ ـ بدائع الفوائد ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، مصورة عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية.
١٤ ـ بضع رسائل في التوحيد والإيمان، الشيخ الامام/ محمد بن عبدالوهاب دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، باكستان.
١٥ ـ تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
١٦ ـ التأليف في خلق الانسان، د. وجيهه السطل، دار الحكمة، دمشق.

١٧ ـ الترغيب والترهيب، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، ضبط وتعليق مصطفى عمارة، الناشر مصطفى الحلبي ـ مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ.
١٨ ـ تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، يحي بن حمزة اليماني الذماري المكتبة السلفية ومطبعتها، مصر.
١٩ ـ تفسير الفاتحة، شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، تحقيق فهد بن عبدالرحمن الرومي، مكتبة الحرمين، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ.
٢٠ ـ تفسير سورة الفلق، شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، تحقيق وتعليق فهد بن عبدالرحمن الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
٢١ ـ التفسير الكبير، الفخر الرازي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٢ ـ تفسير ابن كثير، مكتبة النهضة الحديثة، بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٨ هـ.
٢٣ ـ تفسير المعوذتين لابن القيم، تحقيق وتعليق مصطفى بن العدوي، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
٢٤ ـ تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت مصوره عن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند ١٣٢٥ هـ.
٢٥ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق وتعليق وتخريج محمود وأحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، وأيضاً طبعة المطبعة الأميرية ببولاق، الطبعة الأولى ١٣٢٩ (مصورة دار المعرفة ـ بيروت).
٢٦ ـ جامع البيان في تفسير القرآن، السيد معين الدين محمد بن عبدالرحمن الحسني الأيجي، الطبعة الثانية، ١٣٩٧ هـ.
٢٧ ـ الجامع الصحيح، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٨ ـ جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبدالرحمن بن رجب: الناشر: المؤسسة السعيدية بالرياض.
٢٩ ـ الجامع لأحكام القرآن، أبي عبدالله محمد القرطبي، أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٧ م.
٣٠ ـ رسالة في حقيقة الصيام، ابن تيمية، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ دمشق.
٣١ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ، وطبعة مكتبة المعارف ـ الرياض الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ (الثالث والرابع).
٣٢ ـ سنن الدارمي، دار الفكر ـ القاهرة، ١٣٩٨ هـ.
٣٣ ـ سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء السنة النبوية.
٣٤ ـ سنن المصطفى، ابن ماجه، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت.
٣٥ ـ سنن النسائي، مع شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، دار

الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ.
٣٦ ـ شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي بيروت.
٣٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز، تحقيق د. عبدالله التركي، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى. ١٤٠٨ هـ.
٣٨ ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. أبو محمد عبدالله جمال الدين بن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، الطبعة الخامسة، ١٣٨٦ هـ.
٣٩ ـ الشعر والشعراء، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق د. مفيد قميحه، ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.
٤٠ ـ الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ، على نفقة السيد حسن عباس الشربتلي.
٤١ ـ صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية ـ إستانبول ـ تركيا ـ ١٩٧٩ م.
٤٢ ـ صحيح مسلم، تحقيق وتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، رئاسة إدارات البحوث العلمية ـ الرياض، ١٤٠٠ هـ.
٤٣ ـ صفة الصفوة، جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ.
٤٤ ـ الصمت، لابن أبي الدنيا، تحقيق د. محمد أحمد عاشور، دار الإعتصام القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
٤٥ ـ ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ١٣٩٨ هـ.
٤٦ ـ طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب السبكي، تحقيق عبدالفتاح الحلو، محمود الطناحي، الطبعة الأولى، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م.
٤٧ ـ غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق د. شمران العجلي، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨ هـ، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق.
٤٨ ـ الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية.
٤٩ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تصحيح وتعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٥٠ ـ فقه اللغة وسر العربية، الإمام أبي منصور إسماعيل الثعالبي، دار الباز ـ مكة المكرمة.
٥١ ـ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعه الأولى، ١٤٠٦هـ.
٥٢ ـ الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري، دار الباز ـ مكة المكرمة.

٥٣ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.
٥٤ ـ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت.
٥٥ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، وابنه محمد، مطابع الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨١ هـ.
٥٦ ـ مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م.
٥٧ ـ مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢ هـ.
٥٨ ـ مدارج السالكين، ابن القيم، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م.
٥٩ ـ المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم، مكتبة النصر الرياض.
٦٠ ـ مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي دار صادر بيروت، مصورة عن طبعة المطبعة الميمنية ١٣١٣ وطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٠ هـ تحقيق أحمد شاكر، وطبعة الإعتصام، تحقيق عبدالقادر عطا والدكتور محمد أحمد عاشور.
٦١ ـ معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت الطبعة الثانية، ١٩٨٠ م.
٦٢ ـ المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، وزارة الأوقاف، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.
٦٣ ـ المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي، ضمن إحياء علوم الدين ـ للغزالي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٣٥٨ هـ.
٦٤ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبدالله بن هشام الأنصارى، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الباز، مكة المكرمة.
٦٥ ـ مناهج الجدل في القرآن الكريم، د.زاهر عواض الألمعي، مطابع الفرزدق الرياض.
٦٦ ـ منهاج العابدين، لأبي حامد الغزالي، مكتبة الجندي، بمصر، ١٣٩٢ هـ.
٦٧ ـ مؤلفات الشيخ الإمام/ محمد بن عبدالوهاب، تصنيف وإعداد عبدالعزيز الرومي، د. محمد بلتاحي، د. سيد حجاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٦٨ ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات الأنباري، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار ـ الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ.
٦٩ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، تحقيق محمود الطناحي، المكتبة الإسلامية لصاحبها رياض الشيخ.
٧٠ ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب ابن القيم، تحقيق وتخريج عبدالقادر الأرناؤوط ـ مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الثانية ـ ١٣٩٩ هـ.

٧١ ـ وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٩٧ هـ.
٧٢ ـ وقاية الانسان من الجن والشيطان، وحيد عبدالسلام بالي، دار البشير القاهرة، دار الحمدان، الرياض، الطبعة الثانية.